

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله
الصادق الأمين وعلى آله وصحبه وبعد :

مازال المغرب العربي الإسلامي يكون ميداناً هاماً من ميادين التاريخ
الإسلامي ، التي تحتاج إلى دراسة وبمحت وتمحيص حتى يقف أبناء الأمة الإسلامية
اليوم على معرفة منابع القوة الحقيقية التي تكفل لهم استرداد سالف عظمتهم
ورسالتهم السامية في خدمة الحضارة الإنسانية ذلك أن المغربي قد أسهم بدور فريد
في حمل رسالة الإسلام وحضارته إلى أوروبا ، كما كان في الوقت نفسه أرض
الطليعة التي تعرضت للأحقاد الأوروبية الزاحفة على دار الإسلام، والدرع الذي
كسر أنياب هذه الهجمة الحاقدة على الإسلام وأهله .

إن مدينة فاس التاريخية في المغرب العربي هي واحدة من درر المدن
الإسلامية الثقافية ، ولا يضاهي دورها في المغرب الإسلامي سوى القيروان وقرطبة
وكما جاء في المسالك للعمري: أنها تشبه دمشق وغرناطة وأهلها يشبهون أهل
الإسكندرية في المحافظة على علوم الشريعة وتغيير المنكر والقيام بالناموس .

ويقول القزويني في كتابه أثار البلاد وأخبار العباد ص ١٢ - ١٣ عن
مدينة فاس : مدينة كبيرة مشهورة في بلاد بربر على بر المغرب بين اثنتين عظيمتين ،
والعمارة قد تصاعدت حتى بلغت مستواها، وقد تفجرت كلها عيوناً تسيل إلى

قراره إلى نهر منبسط إلى الأرض ينساب إلى مروج خضر، وعليها داخل المدينة ستمائة رَحَى ولها قهندز في أرفع موضع فيها ويسقيها نهر يسمى المقروش .

وقال أبو عبيد البكري : فاس منقسمة قسمين وهي مدينتان مسورتان يقال لأحدهما عدوة القرويين وللأخرى عدوة الأندلسيين ، وفي كل دار جدول ماء وعلى بابها رحى وبستان ، وهي أكثر بلاد المغرب ثماراً وخيراً ، وأكثر بلاد المغرب يهوداً ، فيها يختلفون إلى سائر الأفاق، بها تفاح حلو يعرف بالأطرابلسى حسن الطعم جداً ، يصلح بعدوة الأندلسيين ولا يصلح بعدوة القرويين وسميد عدوة الأندلسيين أشجع من رجال القرويين ونساؤهم أجمل، ورجال القرويين أحمد من رجال الأندلسيين.

قال إبراهيم الأصيلي :

دَخَلْتُ فاساً وبي شوق إلى فاس والجن يأخذ العينين والرأس
فلست أدخل فاساً ما حييت ولو أعطيت فاسا وما فيها من الناس

ويقول ياقوت في كتابه معجم البلدان عن مدينة فاس : بالسین المهملة بلفظ فاس النجار ، مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر وهي حاضرة البحر وأجل مدنه قبل أن تحتط مراكش وفاس محتطة بين ثنيتين عظيمتين وقد تصاعدت العمارة في جنبهما على الجبل حتى بلغت مستواهما من رأسه وقد تفجرت كلُّها عيوناً تسيل إلى قرارة واديها إلى نهر متوسط مستتبط على الأرض منبجس من عيون في غربها على ثلثي فرسخ منها بجزيرة دوى ثم ينساب يمينا وشمالاً في مروج خضر فإذا انتهى النهر إلى المدينة طلب قرارها ليفترق منه ثمانية أنهار تشق المدينة عليها نحو ستمائة رَحَى في داخل المدينة كلها دائرة لا تبطل ليلاً ولا نهاراً تدخل من تلك الأنهار في كل دار ساقية ماء كباراً وصغاراً وليس بالمغرب مدينة

يتخللها الماء غيرها إلا غرناطة بالأندلس . . . وبفاس يُسمع الأرزجوان والأكسية
القرمزية وقلعتها في أرفع موضع فيها يشقها نهر يسنى الماء المقروش إذا تجاوز القلعة
أدار رحاً هناك وفيها ثلاثة جوامع يُخطب يوم الجمعة في جميعها . . . قال عبيد
السكري : مدينة فاس مدينتان مفترقتان مسورتان وهي مدينتان عدوة القرويين
وعدوة الأندلسيين وعلى باب دار الرجل رحاه وبستانه بأنواع التمر وجداول الماء
تخترق في داره وبالمدينتين أكثر من ثلاثمائة رحا وبها نحو عشرين حماماً وعلى أكثر
بلاد المغرب يهوداً يختلفون منها إلى جميع الآفاق ومن أمثال أهل المغرب فاس بلد
بلا ناس . . . وكلنا دوني فاس في سفح جبل والنهر الذي بينهما مخرجه من عين
في وسط بلد من عُسرة على مسيرة نصف يوم من فاس . . . وأسست عدوة
الأندلسيين في سنة ١٩٢هـ وعدوة القرويين في سنة ١٩٣هـ في ولاية إدريس
ابن إدريس ومات إدريس بمدينة وليلى من أرض فاس على مسافة يوم من جانب
الغرب في سنة ٢١٣هـ . . . وبعده الأندلسيين تُفأح حلوا يعرف بالأطرابلسي
جليل حسن الطعم يصلح بها ولا يصلح بعدوة القرويين وسمي عدوة الأندلسيين
أطيب من سمي القرويين لحدقهم بصنعتهم وكذلك رجال عدوة الأندلسيين أشجع
وأجفة والجد من القرويين ونساؤهم أجمل من نساء القرويين ورجال القرويين أجمل
من رجال الأندلسيين وفي كل واحدة من العدوتين جامع مفرد . . . وقال محمد
ابن إسحاق المعروف بالجليلي :

يا عدوة القرويين التي كرمتُ لا زال جانبك المحبوب ممطورا

ولا سرى الله عنها ثوب نعمته أرض تجنبت الأنام والزوار

وقال إبراهيم بن محمد الأصيلي والدم الفقيه أبي محمد عبد الله :

دخلتُ فاساً وبى شوقٍ إلى فاس والحين يأخذ بالعنين والراس

فلست أدخل فاساً ما حييت ولو أعطيتُ فاساً بما فيها من الناس

وقال أحمد بن فتح قاضي ناهرت في قصيدة طويلة:

اسلخ على كل فاسي مررت به
فالدوتين معاً لا تبقين أحدا
قوم غدوا ألوم حتى قال قائلهم
من لا يكون لئيماً لم يعش رعداً

ومنها إلى سبعة عشرة أيام وسبعة أقرب منها إلى الشرق . . . وقال

إليكي يهجو:

فراقهم عند خروج فاس
لكل ملمة تختبي وبأس
فأما أرضيا فأجزل أرض
وأما أهلها فأحسن ناس
بلاذ لم تكن وطأ لحـر
ولا شملت على رجل مؤاسي
وله فيهم ايضاً :

أطعن يابرك من تلقى من الناس
من أرض مصر على أقصى قرى فاس
قوم يصمون ما في الأرض من لطف
مص الخليع زمان الورد للكلام
وله ايضاً فيهم :

دخلت بلدة فاس
أسترزق الله فيهم
فما تيسر منهم
أعفته في بنهم

وقد نسب إليها جماعة من أهل العلم . . . منهم أبو عمر عمران بن موسى بن نجح الفاسي فقيه أهل القيروان في وقته نزل بها وكان قد سمع بالغرب ورحل وسمع بالمشرق جماعة من العلماء وكان من أهل الفضل والطلب وغيرهم .

ويقول الدكتور محمد كمال شبانة :

ويعزز هذا القول ما جاء عند صاحب كتاب " جني زهرة الآس " . في أخبار فاس ، من قوله : " قال الحكماء : لا تستوطن إلا بلداً فيه سلطان حاضر ، وطبيب ماهر ، وفهر جار ، وقاض عادل ، وعالم عامل ، وسوق قائم . . . " .

ويرد ف صاحب هذا الكتاب قوله ذاك بوصف أبناء فاس : " فلاعتداله
اعتدل أهلهم ، فسلموا من شقرة الروم ، وسواد الحبش ، وغلظ الترك ، وجفاء
أهل الجبال ، ودمامة أهل الصين ، وكما اعتدلوا في الخلق واعتدلوا في الفطنة
والذكاء والعلم ، .

فلهذه القيمة التاريخية للمدينة ، وحفاظا على تراثها العربي الأصيل ، نرى
أن فاس كانت نموذج المدينة الإسلامية في مهرجان العالم الإسلامي الذي عقد في
لندن في منتصف السبعينات. وقررت منظمة اليونسكو المشاركة في إنقاذها كجزء
من التراث الإنساني. ورصدت من أجل إنقاذها ٢٠ مليار دولار . كما وجهت
نداء عالمياً يلح في العمل على إنقاذها .

والآن ... ماذا يقول التاريخ في صدد هذه المدينة تأسيساً وتخطيطاً ؟
يعزو بعض المؤرخين تأسيس مدينة فاس إلى إدريس الثاني ١٩٢ هـ / ٨٠٨ م ،
ابن إدريس الأول ١٧٢ هـ / ١٧٥ هـ ، اعتماداً على روايات قديمة، ولعل
أول من ردها من جغرافي المشرق ابن حوقل في القرن العاشر الميلادي^(١) . ثم
تولى ترديد هذه الرواية من لدن الجغرافيين . مثل ما جاء عند أبي عبيد البكري
الأندلسي، حين أورد وصفاً شاملاً لمدينة فاس . فقال : " إن هذه المدينة تتكون من
مدينتين مختلفتين . ويحيط بكل منها أسوار ، كما يفصلها نهر شديد التيار وهو
يسمى إحداهما "ضفة القرويين" والثانية " ضفة الأندلسيين، وتقع الأولى إلى الغرب
من الثانية، كما يقرر في وصفه هذا " أن المدينة الواقعة على ضفة الأندلسيين ، قد

(١) لقد جمع الأستاذ بلاشير المستشرق المعروف هذه الروايات في مقال له بعنوان : فاس

عند الجغرافيين العرب في العصور الوسطى " المنشور في مجلة : Heuperis

هيريس ج ، ١٨ ، سنة ١٩٣٤ م ، من ص ٤١ - ٤٨ .

تأسست عام ١٩٢ هـ / ٨٠٨ م ، وأن مدينة " ضفة القرويين " قد أسست في السنة التالية في عهد إدريس بن إدريس " (١) .

ولقد جرى على هذا الوصف - من وجود مدينتين منفصلتين - جغرافيون قدامى . من أمثال يعقوبي (٢) والمقدسي (٣) والإدريسي . وفي أوائل القرن الرابع عشر الميلادي وجدت تفاصيل أكثر عن مدينة فاس في المصنفات التاريخية المغربية، والتي تشير إلى ما ذكره المؤرخ ابن أبي زرع مؤلف " روض القرطاس " عن المدينة ، ونقلها عنه بعدئذ كل من الجزنائي في " زهرة الآس " (٤) ، وابن القاضي في " جذوة الاقتباس " (٥) .

وقد أورد المستشرق ليفي بروفنسال خلاصة رواية كتاب " القرطاسي " بالإضافة إلى المصنفات التي نقلت عنه ، مقتصراً على الجوانب المهمة في الموضوع (٦) ، قال : " ولد إدريس الثاني في أوليلى ، أو على الأصح وليلة ، في كتلة زرهون الجبلية (جبل زرهون) ، بعد وفاة أبيه إدريس الأول بشهرين ، وكان

(١) انظر : " جزائر بني مزعنة " طبعة Desalre الطبعة الثانية ، الجزائر ١٩١١ م ، ص ١١٥ . طبعة أحدث بالجزائر أيضاً ١٩١٣ م ، ص ٢٢٦ .

(٢) انظر : " صفة المغرب " المأخوذة من كتاب " لهذا " لأحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي ، نشره M. J. Dr Gode طبعة ليدن ١٨٤٠ م ص ١٩ .

(٣) انظر : أحسن التقاسيم ، طبعة Dr Gode ليدن ١٩٠٦ م ص ٢٢٩ .

(٤) نشرها وترجمها وعلق عليها بأسم زهرة الآس ، وهي تتناول تأسيس مدينة فاس - طبعة الجزائر عام ١٩٢٣ م .

(٥) انظر : الطبعة الحجرية لهذا الكتاب في فاس سنة ١٣٠٩ هـ .

(٦) انظر : الإسلام في المغرب والأندلس تأليف ليفي بروفنسال ، ترجمة د/ السيد محمود سالم ، د/ محمد صلاح الدين حلمي ص ٧ - ١٠ .

موت أبيه حادثاً محزناً ، لوفاته مسموماً على يد رسول خاص كان قد أوفده الخليفة العباسي هارون الرشيد سنة ٩٧٥ م (٧٩١م)/ ١٧٧ هـ (٧٩٣م) . وقد تولى رشيد عتيق إدريس الأول ورفيقه المخلص - مهمة تعليم الطفل حتى كبر ، وصار حاكماً سنة ١٨٨ هـ / ٧٩٣م بإجماع قبائل البربر بمراكش - ثم مات رشيد بعد هذا بقليل . وفي نهاية السنة التالية - وهي سنة ١٨٩ هـ / ٨٠٥م - وجد إدريس الثاني أفواجاً من الهجرات العربية تنال عليه ، مما جعل بعضاً من مسلمي إفريقية وإسبانيا تأتي إليه لتربط مصيرها بمصيره ، حتى ضاق مقامه بوليلة عن استيعاب هذا النمو المطرد من السكان، بحيث قرر لذلك إنشاء مدينة تكون عاصمة للملكة ، وكان أن وجد في سنة ١٩٠ هـ / ٨٠٦م ، مكاناً مناسباً، يقع على السفح الشمالي لجبل زلغ . وبدأ فعلاً في بناء المدينة ، غير أن عاصفة عاتية ما لبثت أن حطمت الأساس ٠٠٠ والمعدات ، فوقف دولاب العمل .

وفي السنة التالية - عند مطلع سنة ١٩١ هـ / نوفمبر ٨٠٦ م - قرر إدريس الثاني الاستقرار بجوار الضفة اليسرى لنهر سبو Sebou على مقربة مباشرة من ينابيع خولان - الساخنة ، حيث استحضر المواد اللازمة للعمل، غير أن مخافة من عواقب الفيضانات الفصلية للنهر أجبرته على إهمال مشروعه .

أما المحاولة الثالثة فإنها ستكون أوفر حظاً ، إذ يختار للمدينة أرضاً مغطاة بأعشاب جافة متشابكة ومغمورة بالمياه الجارية، ويعبرها نهر تغذيه ينابيع مجاورة . وهذا الموقع لحظة عمير وزير إدريس الثاني واقترحه عليه ، وكان قد أشتراه المحتلون من بربر زناته المنتمين إلى أحزاب منافسة، والمعتنقين للإسلام والمسيحية واليهودية، وحتى لمذهب عبادة النار نفسه . ثم يأتي إدريس الثاني نفسه ليستقر في هذا المكان . بل ويصدر الأمر ببدء إنشاء المدينة على التحقيق في أول أيام شهر ربيع الأول سنة ١٩٢ هـ / ٤ يناير ٨١٨م ، حيث يشرع في بناء حي تحترقه ستة أبواب على

الأرض الواقعة على الضفة اليمنى من النهر. أما في الداخل فيبنى مسجداً بجانب الآبار على مقربة من معسكر إدريس الذى يحميه سور من خشب، وقد أصبح هذا الحى أحد أحياء المدينة ، وسمى بأسم "حى الأندلسيين" .

بعد ذلك بعام على التحقيق - بحسب التوقيت الهجرى ، الموافق ٢٣

ديسمبر سنة ٨٠٨م - شرع إدريس الثانى فى تشييد حى جديد مواجه للحى الأول وقد أدى إنشاء هذا الحى إلى إغلاق أسواره لجزء صغير من مجرى النهر، كما أدى إلى امتداده بشكل ملحوظ على الضفة اليسرى من هذا النهر. ذلك الحى من المدينة هو الذى سوف يطلق عليه أسم " حى القرويين" الذى كان يشبه الحى المقابل له إقامة ستة أبواب أيضاً . أما فى داخله فتجد الحاكم يأمر ببناء مسجد ما لبث أن أقيمت حوله أسواق وقيسارية وقصر .

ثم لا يلبث هذا الإنشاء المزدوج الذى قام به إدريس الثانى إلا قليلاً حتى يمتلىء بالسكان بسرعة ظاهرة. وذلك بفضل التسهيلات العديدة التى منحها الأمير من وفدوا للإقامة فيه . وإن كان معظم النازحين إلى المدينة الشرقية من البربر . فى حين أن أكثر الواقدين إلى المدينة الغربية من العرب. وبسرعة كبيرة تحتفظ هؤلاء المسلمين وبطائفة ملحوظة من اليهود . ويأخذ هذا التجمع أسم مدينة فاس ، ويستقر فيها مع الأمير أسرته وحاشيته. ولم يكن فى ذلك الوقت قد تجاوز السابعة عشرة من عمره ، وظل بها إلى سنة ١٨٧ هـ (٨١٢م - ٨١٣م) ، ثم رحل بعد ذلك فى حملة إلى الأطلس الكبرى عاد بعدها إلى مدينة فاس. ثم غادرها سنة ١٩٩ هـ (٨١٤م - ٨١٥م) متجهاً إلى تلمسان. وبعد هذا بثلاث سنوات عاد إلى عاصمته، التى استقبلت فى ذلك الحين حملة قوية من عساكر الأندلس ، ممن طردهم الحكم الأول أمير قرطبة الأموى ، وذلك عقب موقعة الربض ، وسمح لهم إدريس الثانى بالقرار فى الحى الشرقى ، ومنذ ذلك الوقت لم يبرح إدريس مدينة فاس .

بعد هذا بعشرة أعوام - في سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م - مات إدريس في ظروف غامضة في فاس نفسها، أو في ويلة ، تاركاً مدينته المزودة يانعة مزدهرة، كما ترك عند وفاته أطفالاً كثيرين، كان منهم على الأقل اثنا عشر ولداً تقاسموا أملاكه .

ويعترف ليفى بروفنسال في سياق هذا الحديث عن مدينة فاس، بأن رواية صاحب "القرطاس" قد اشتملت على تفاصيل كثيرة عن كل مرحلة من مراحل إنشاء المدينة المزروجة، وأن هذا المصدر ذو قيمة نادرة بين المصادر الأخرى في الموضوع، حيث ضم المعلومات الطبوغرافية فيما يتصل بتخطيط الحين وأبوابهما، وهي معلومات تكاد فريدة في بابها إذا ما أضفنا إليها روايات البكري التي الخنا إليها ، ولهذه المعلومات قيمتها التاريخية أيضاً عند القيام بالموازنة بين خريطة فاس الحالية بنظائرها التي كانت لنفس الموقع طوال القرون الأولى من التاريخ الإسلامي.

كذلك يضيف صاحب "القرطاس" إلى ما سبق أن مدينة فاس قد ثمت من بعد وترعرعت بحركة العمران والمرافق التي استلزمت ذلك، ولكن الحين اللذين اشتملت عليهما المدينة كان لكل منهما مصير لا يواكب مصير الأخر . نظراً للأضطراب الذي سادهما على مر التاريخ ، فهما تارة متضادان، وتارة متفقان ، حتى عدت السنون وجاء زعيم المرابطين يوسف بن تاشفين (٤٠٠ هـ - ٥٠٠ هـ) ليحطم الحواجز التي فصلهما ، ويوحدهما بصفة نهائية في مدينة واحدة عام ٤٦٢ هـ / ١٠٦٩ م . ومنذ ذلك الحين بدأت تستقر هذه المدينة الكبرى في العصور الوسطى، التي لم تلبث أن أصبحت مركز الإسلام في المغرب الأقصى بمواردها العلمية والصناعية والتجارية.

وتجدر الإشارة إلى أن ضفة القرويين هي (مدينة القرويين) الضاحية التي عمرها سكان المغرب الأدنى الذين وفدوا من القيروان، وحيث بنى بها جامع

القرويين الذى أسسته السيدة فاطمة الفهرية، وستخصص له حديثاً يليق بماله من أثر إسلامي عظيم .

ولقد تضاءل من فاس السياسي في عصر كل من المرابطين والموحدين ، حيث أتخذ هؤلاء من مراكش عاصمة لهم حتى أتى بنو مرين فأعادوا لفاس مجدها الإداري وأتخذوها عاصمة لهم .

وإلى جوار فاس القديمة توجد فاس الجديدة التى بناها الأمير أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المربني عام ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م ، وقد أطلقت عليها عدة أسماء كالمدينة البيضاء ، والبلد الجديد، والمدينة الجديدة.

إن فاس منذ القديم تحتل مكانة مرموقة من بين مدن المغرب لما ذكرنا، من أتخاذها عاصمة للملكة فترات من الزمن . وعلى الصعيد الإسلامى فإنها تمثل واحدة من المدن الثقافية الإسلامية، لما اشتملت عليه من جامعة عريقة وهى "جامعة القرويين" كما سنفصل القول بعدئذ .

من أثارها القديمة - على جانب القرويين - مدرسة أبي عنان المربني ، وساعتها الشمسية الغربية، ومدرسة العطارين، ومدرسة المصباحية، ومسجد الأندلس ، وزاوية إدريس الثانى مؤسس المدينة حيث يوجد ضريحه ، وكلها منشآت على الطراز الأندلسي المغربي كأروع أثار فنية ما زالت تحتفظ بروائها .

وتتصل فاس القديمة بفاس الجديد عبر حدائق أبو الجنود والغناء، وتعتبر أبواب فاس الجديد غريبة الشكل. كباب الشاكمة، وباب الدكاكين، وباب المعمارين، وتوجد قبور المربنيين على مرتفع يشرف على المدينة الواقعة في سفح جميل أخاذ ، في جوف صدفة من الأسوار العتيقة، وقد دفن بالمدينة - وخاصة في أطرافها - كثير من علمائها البارزين وقوادها المشهورين. بالإضافة إلى بعض

اللاجئين السياسيين أمثال لسان الدين ابن الخطيب التلمساني المعروف ٧١٣هـ - ٧٧٦ هـ ، والذي وصف فاس بقوله :

رعى الله قطراً ينبت الغنى

وأفاقة ظل على الدين ممدود

نعم العربي الأسود بن مرين ، ودار العبادة التي يشهد بها مطرح الجنة ومسجد الصابرين ^(١) .

أم القرى ، ومأم السرى ، وموقد نار الوغى ونار القرى، ومقر العز الذي لا يهضم، وكرسى الخلافة الأعظم، والجرية التي شقها ثعبان الوادي فما ارتفعت، والأبية التي ما أذعنت إذعائها للإيالة المرينية ولا أطاعت.

أى كلف وكلف ، ومتفق ومختلف، ومحابة وزلف وقضيم وعلف ، وخلف عن سلف ، إنما الدنيا أو دلف ^(٢) .

(١) مسجد الصابرين : أحد معالم فاس الإسلامية ، راجع : مجلة البحث العلمي ، (لسنة ١٢ - العدد ٢٤) يناير - أبريل ١٩٧٦ .

(٢) أبو دلف : هو أبو القاسم عيسى بن إدريس العجلي أمير الكرخ وسيد الرمة، وأحد الأجواد من الشعراء كان من رجال الرشيد وأبنة المأمون وقد عقد له الكاتب ابن طيفور جزءاً خاصاً من كتابه (بغداد في تاريخ الخلافة العباسية) عند حديث عن المأمون وقد توفي أبو دلف عام ٢٢٦ هـ والشطر المذكور اقتباس من قوله :

بين مغزاه ومختصره

ولت الدنيا على أثره

إنما الدنيا أبو دلف

فإذا ولي أبو دلف

سألت عن العالم الثاني^(١)، ومحراب السبع المثاني، ومعنى المغاني ، ومرقص النادب والغاني، وإرم المباني^(٢)، ومصلى القاصي والداني ، هي الحشر الأول والقطب الذي عليه المعول، والكتاب الذي لا يتأول .

بلد المدارك والمدارس، والمشايخ والفهارس، وديوان الراجل والفارس ، والباب الجامع من موطأ المراقق ، ولواء الملك الخافق، وتنور الماء الدافق، ومحشر المؤمن والمنافق، وسوق الكاسد والناقق ، حيث البني التي نظر إليها عطارد^(٣) فاستجناها، وخاف عليها الوجود أن يصيها بعينه الحسود، فسترها بالغور وأخفاها^(٤)، والأسواق التي ثمرات كل شيء إليها قد جيبت، والموارد التي اختصت بالخضر وحييت، والمنازة المخطوبة ، وصفاح الخلع المشطوبة، والغدر التي منها أبو طوية^(٥) .

بلد أعارته الحمامة طوقها

وكساه - ريش جناحه - الطاوروس

فكأنما الأثمار فيه مداما

وكان ساحات الديار كنوس^(٦)

(١) ويقصد بالعالم الأول " الأندلس " يومئذ .

(٢) إرم المباني : علم المباني .

(٣) عطارد : نجم سيار قريب من الشمس .

(٤) التعبير كتابة عن موقع المدينة في السطح المنخفض ، وهو حسن تعليل رائع لوقاية المدينة من عين الحسود بموقعها هكذا .

(٥) أبو طوية : الريح الطيبة .

(٦) البيتان من قصيدة للشاعر ابن اللبانة يصف فيها جزيرة ميورقة .

أجتمع بها ما أولده سام وحام ، وعظم الالتئام والالتحام، فلا يعدم في مسالكها زحام، فأحجارها طاحنة ، ومخابرها شاحنة، وألسنتها - باللغات المختلفة - لا حنة ، ومكاتبها مائجة ، ورحابها متمائجة ، وأوقاتها جارية ، اللمم فيها - إلى الحسنات وأضدادها - متبارية ، إلى آخر ما وصفها به . . . (١)

جامع القرويين

يروى المؤرخون أن هذا المسجد كان في الأصل جامعاً صغيراً يطلق عليه " جامع الشرف " وقد إقامه إدريس الثاني إبان حكمه في " عدوة القرويين " وظل المسجد الصغير على حاله حتى عام ٢٥٤ هـ. حيث كان في فاس رجل من عرب القيروان يدعى محمد بن عبد الله الفهرى ، ثم وافته منيته ، وترك لابنته فاطمة ومريم ثروة كبيرة، فأهتمت فاطمة بجامع الشرفاء، وأنفقت جل نصيبها - من تركة والدها - في تجديد بنائه وتوسعته، فتضاعف حجمه، وأقيمت له الصومعة التي ما تزال على حالها من التخطيط حتى يومنا هذا ، بعد أن أعيد بناؤها على نفس الطراز عندما جرى توسيع الجامع عام ٣٤٤ هـ وتبلغ مساحة كل ضلع من أضلاع قاعدتها خمسة أمتار، بينما يبلغ ارتفاعها ٢٠ متراً ، وهي مكسوة بالقيشاني (الزليج) تعلوها قبة صغيرة .

يقول عبد الرحمن المراكشي في شأن المدينة والمسجد، منوها فيهما بحضارة قرطبة والقيروان - حيث سكنها القرطبيون (أهل الربض) كما قدم إليها في مرحلة أخرى جماعة من القيروان واقاموا بها .

(١) انظر : معيار الاختيار ، في ذكر المعاهد والدياره ، لابن الخطيب تحقيق ودراسة وترجمة للإسبانية ص ٧٨ - ٨١ نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي ، الرباط ١٩٧٧ م .

مدينة فاس هي حاضرة المغرب ، وموضع العلم منه ، اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة، عندما كانت قرطبة حاضرة الأندلس والقيروان حاضرة المغرب ، فلما اضطرب أمر القيروان وأمر قرطبة رحل عن هذه وهذه من كان فيهما - من العلماء والفضلاء فراراً من الفتنة فترل أكثرهم مدينة فاس ٠٠٠ ومازلت تسمع المشايخ يدعونها "بغداد المغرب" وليس بالمغرب شيء إلا وهو منسوب غليها، وموجود فيها وماخوذ منها، لا يدفع هذا القول أحد من أهل المغرب ٠٠٠ ."

يشتمل المسجد حالياً على صحن مغطى مقوف يرتكز على أعمدة تعدادها ثلاثمائة وخمسة وستون بعدد أيام السنة. تزينها الأقواس ذات الإشكال المختلفة. فبعضها ذات عقد واحد بينما البعض الآخر متضاعف العقود . وتوجد عند القبة الرابعة أقدم لوحة في الجامع إذ يرجع تاريخها إلى منتصف القرن الثالث الهجري . وقد سجل عليها أن السيدة فاطمة الفهرية تطوعت ببناء الجامع ، وأن الأساس قد حفر في أول رمضان سنة ٢٤٥ هـ .

وهناك لوحة أخرى بين افريز القبة المربعة. قد نقشت عليها الوثيقة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بعمله عن أمر الملك العادل ، الأمر بالخير والفضل ، أمير المسلمين، وناصر الدين ، علي بن يوسف بن تاشفين ٠٠٠ وكان إتمام ذلك - بحمد الله وعونه وتوفيقه - في شهر رمضان المعظم من سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، ومعنى هذا أنه قد أضيفت على المسجد زيادات هامة وكبيرة بين عامي ٥٢٨ هـ و ٥٣٩ هـ وصنع للجامع محراب ومنبر جديدان وكما أعيد بناء الأبواب التي تعتبر تحفة فنية رائعة، فقد كسيت الأبواب الخشبية بالنحاس ، وأقيم على كل باب قبة صغيرة، ولكل باب من هذه الأبواب الثمانية عشر مفرع

ذو حلقة معدنية كبيرة. وتزين واجهة الأبواب صفوف من المسامير ذوات الرؤوس.

هذا ، ويتوفر المسجد على خمسة مصادر للمياه، ومنذ القدم والمياه تجري في الجامع طوال العام . كما نعمه في كافة أرجائه الإنارة الكافية، فقد كانت تكثر فيه السرج، وتغلظ الفتائل ، لأن في الإضاءة بهاء للدين ، وأنا للمجتهدين ، ونفيا لمكانية الريبة، وهداية للسابلة، وتزيها، لبيوت الله من وحشة الظلام .

ولذلك ترى في صحن الجامع الثريات الكبيرة التي تتفرق في كافة أرجاء المسجد، وفي الوسط ثريا ضخمة وإلى جانبها ثريا أصغر، يروى أنها كانت في الأصل ناقوساً حمل من إحدى المعارك التي جرت في الأندلس، وكسى الجرس بثلاث حاملات للقناديل، ونقش عليه ، صلى الله على سيدنا محمد . . . الملك لله . . . والعزة لله . . . وبالمسجد بعض من الأجراس الأخرى التي حولت إلى ثريات وكانت قد نزعتم - بأيدي الجنود المسلمين - من أعالي الكنائس القشتالية شمال الأندلس .

ويلاحظ أن منبر المسجد قد صنع من خشب الصندل والأبنوس والجوز. وأن نقوشة مطعمة بالعاج، وبجوانبه زخارف وتوريقات تخلية دقيقة، وهو كغيره من معظم المنابر المغربية - متحرك ، يخرج عند الخطبة في يوم الجمعة ، ثم يعود ، بعد ذلك ويختفي داخل الجدران طيلة الأسبوع .

هذا وما أن أكتمل بناء الجامع فيما مضى حتى بدأ يؤدي رسالته، إلى جانب المساجد الكثيرة التي تغطي بها مدينة فاس، من حيث كونها مراكز لتثقيف المسلمين، وتبصيرها بأمور دينهم وديانهم شأن معظم مساجد المدن الإسلامية في المشرق والمغرب ، والتي لم تكن وظيفتها قاصرة على العبادة ليس إلاء بل تكوين المسلم الصالح تكويناً شاملاً للعبادات والمعاملات .

وطبيعي أنه لم يكن في الحسبان عند إنشاء هذا المسجد أنه سيكون له شأن عظيم ، وأنه سيصير بمرور الأيام سجلاً علمياً حافلاً لأعداد من العلماء المغاربة وسواهم من الوافدين من عدة أقطار لينهلوا من ينابيع المعرفة ولا سيما من القارة الإفريقية بحكم صلة الجوار والقربى .

وتمضى فترة على افتتاح جامع القرويين ، ويعمر بالمؤمنين لأداء الصلوات شيئاً فشيئاً ، ثم أخذت الدروس الدينية طريقها إليه بفضل طائفة من العلماء والأساتذة أثناء النهار وبين العشاءين ، وذلك في علوم التفسير والحديث والفقهاء، وكذا علوم اللغة العربية، فهكذا استندارت الحلقات العلمية للدروس في هذه المواد. وأضحى المسجد منذ ذلك الحين مركزاً علمياً بارزاً بحيث استقطب العلماء والطلاب من معظم مساجد المغرب، حتى صارت له القيادة في هذا الميدان العلمي والثقافي .

ولقد حظى هذا المسجد العلمي بعناية ملوك المغرب الذين توالوا على الحكم فقد اضافوا عليه في بنياته ووسعوا في أرجائه، وذلك تمشياً مع تطور رسالته ونموها، ولم تبخل دولة - من الدول التي حكمت المغرب - عليه في إمداده بالوسائل الكفيلة بمواصلة رسالته العلمية السامية. ومن ذلك إلحاق خزانة متسعة ضمن العديد من الكتب العلمية، تنصدها المئات من المخطوطات الثقافية، لعصور توالى ودول انتفضت بين المغرب والأندلس، في شتى فنون المعرفة ، بحيث أضحى هذه الخزانة في مجال المخطوطات - كما وكيفا - من بين أمهات الخزائن في العالم .

وتروى المؤرخات المغربية خاصة أن قاضي القضاة بفاس كان يتولى إدارة شئونها بحكم أنه كان بمثابة شيخ الجامع الأكبر، فقد كان يشرف على اختيار الأساتذة ، ووضع الشروط الواجب توافرها، في راغبي الدراسة من الطلبة، كما يحدد المواد الدراسية، والمؤلفات العلمية التي هي مادة التدريس ، بالإضافة على

إشرافه على منح الإجازات العلمية بالاتفاق مع العلماء المختصين، وتلقيه العطايا مادية وعلمية، للأنفاق على العلماء والطلبة .

لقد كان مسجد القرويين ملتقى فكرياً لعدد من الشيوخ الفقهاء الذين عاصروا المراحل الأولى من تاريخه، حيث كانوا يمارسون مهمة الوعظ والإرشاد لا يبتغون من وراء ذلك سوى الأجر والثواب عند ربهم، بالإضافة على بعض الدروس العلمية أحياناً، وهكذا أضحي المسجد في العصور المتوالية يحج بكثير من العلماء المرموقين من داخل المغرب ومن الأقطار الإسلامية المجاورة خاصة، حبا في العلم والتدريس، واستجابة لرغبة بعض ملوك المغرب، الذين مدوا يد العون لهؤلاء العلماء، لا سيما في الوقت الذي كانت فيه مدينة فاس العاصمة الإدارية (عصر المرينيين) وحيث تهيأت للفقهاء الوافدين وسائل الإقامة إلى جوار القرويين، فأضحوا متفرغين للاشتغال بالعلم والتدريس، وعملوا على رقى النهضة الثقافية بالمغرب، مما كان في أثر واضح في ازهار جامع القرويين والارتقاء بمستواه التعليمي.

ولم تكن عناية أولى الأمر بالمغرب نحو القرويين قاصرة على الفقهاء والمدرسين سواء - منهم المغاربة أو الوافدين ٠٠٠ بل شملت هذه العناية - كما أشرنا - طلاب العلم المواطنين والقادمين من الأقطار الإسلامية، وكان من الضروري بالتالي - وقد تضاعفت أعدادهم بمرور السنين - أن تهيأ لهم أسباب المعيشة ووسائل الدرس والتحصيل . وقد كان توفير السكنى لهم قرب الجامع من أهم ما كان يشغل بال القائمين على الأمور العلمية بفاس . وهكذا بدأت فكرة إنشاء المدارس العلمية بفاس ، وهكذا بدأت فكرة إنشاء المدارس العلمية المشتملة على دور السكنى في الأحياء القريبة من القرويين منذ عصر المرابطين . ففى عام ٦٧٠ هـ أسست مدرسة الحلفاويين . وفي عام ٧٢٣ هـ أنشئت مدرسة العطارين ، ثم المدرسة المصباحية عام ٧٤٥ هـ ، والمدرسة العنانية . أما في المدن

المغربية الأخرى فقد أقيمت مدرسة ابن يوسف بمراكش في عهد المرابطين وكانت هذه المدارس في مجموعها تشتمل على الحزرات العلمية التي تجمع العليد من المراجع والمصادر في مختلف العلوم .

نظام الدراسة

لم تكن الدراسة في القرويين في بداية عهدها ذات نظم معينة أو شعب متخصصة، بل كانت تتناول سائر الفنون المعروفة يومئذ، ومعظم العلوم التي تناولها الكليات الجامعية اليوم . وبالتالي فقد كانت تدرس بها العلوم اللغوية والأدبية، والعلوم الإنسانية، والعلوم الرياضية والطبيعية، ولكن الدراسات الإسلامية هي التي كانت تحظى بقدر أكبر، وتحظى بأهتمام أعظم، كالضمير وعلومه، والحديث وعلومه ، وأصول التشريع الإسلامي ، وعلوم فقه المنهب المالكي، مع اعتماد المؤلفات الأصلية والشهورة في المغرب والمشرق .

وعندما يلتحق الطالب بهذه الجامعة فإنه كان عليه أن يدرس عدة سنوات قد تصل على عشر أو أكثر ، يلزم فيها تلقي العلم على مختلف العلماء المتخصصين ، وخلال هذه الدراسة يعرف الأساتذة على طلابهم النابغين ، الأمر الذي يحوهم - بعد فترة من الوقت يختارون خلالها معلوماقم - أن يمنحوهم الإجازات العلمية طبقاً لتفوقهم وتفوقهم، ويقام حفل خاص توزع خلاله تلك الإجازات التي تميزهم حتى التدريس أو شغل الوظائف الرسمية كالقضاء . . . والعلالة . . . وأحياناً بعض المناصب الرئيسية كالوزارة . . . أو السفارة ، حسب الاستعدادات والخبرات العامة فوق الحصول على الإجازة العلمية .

أما الطلبة الوافدون من الأقطار الإسلامية الأخرى، فإنهم بحصولهم على تلك الإجازة يصبحون في وضع يمكنهم من أداء واجبهم نحو أوطانهم، فيعودون إلى بلادهم لنشر الدين وتقلد الوظائف التي تناط بهم في حدود إمكانياتهم العلمية .
وتجدر الإشارة - بهذه المناسبة - إلى أن جامعة القرويين تضم خزانة علمية كبرى، بحيث تغطي احتياجات العلماء والمدرسين، وتواكب النمو العلمي للطلاب والباحثين، من مصادر رئيسية هامة، ومراجع في شتى ألوان المعرفة، ولاشك في أن العناية التي كان يوليها ملوك المغرب للقرويين كانت تتناول - بطبيعة الحال - تلك الخزانة التي أوقف عليها هؤلاء الملوك ووزرائهم العديد من الكتب ، إلى جانب ما كان يجلب من هذه المصادر من بلاد العالم، حتى غصت الخزانة بآلاف المخطوطات النفيسة التي يقل نظير بعضها في المكتبات الوطنية في الخارج، حتى قيل إن تعداد هذه الكتب يكاد يبلغ ثلاثين ألفاً بين علوم وفنون وآداب لمختلف المؤلفين في العصور الإسلامية.

من تقاليد القرويين

إن طريقة الدرس والبحث في ساحة القرويين تتميز ببعض الخصائص ، وذلك فيما يتصل بطريقة تلقي الدروس ، حيث كانت تعقد الحلقات الدراسية من حول الأستاذ الذي يعلوها بمنصة خاصة ، وفيها يطلب من بعض تلاميذه أن يفتح السدرس بالبسملة، ثم قراءة النص المراد شرحه في المادة ، وبعدها يبدأ الأستاذ في الشرح ، وأخيراً يطلب من أحد التلاميذ قراءة ما ورد من نص في الكتاب المقرر .

وخلال هذه القراءة يستطرد الأستاذ مع الطلاب بالتعليق والتوضيح أيضاً، والاستشكال في بعض المواطن أحياناً، وتلك هي الطريقة التي كان يسير عليها "الجامع الأزهر" في تلك العصور وهي الطريقة المثلى لمضم المادة والأتيان على جوانب البحث فيها، بما يعمق المعرفة ويوصلها لدى طالب العلم.

وهكذا يبدو كيف استوفى جامع القرويين أسباب ثوره وازدهاره، وأستكمل رسائله فحضته منذ عهد مبكر، وأثناء فترات متتالية، ومراحل متواصلة، وخاصة منذ عهد الدولة المرينية، حيث توافرت له عناصر الجامعة، وثبتت له الصفة الجامعية، وتحققت له الشخصية المعنوية، وأصبح معها مؤسسة علمية أكاديمية، تذكر في المشرق وغيره من البلاد كما تذكر في المغرب، وتضاهي مثيلاتها من الجامعات الإسلامية المشهورة.

وأستمرت جامعة القرويين عامرة تواصل سيرها الحثيث، متخطية كل الصعاب ومتحدية كل العقبات، تؤدي رسالتها العلمية والحضارية من جيل إلى جيل، محافظة بذلك على التراث الإسلامي، وأصالة الأمة المغربية، فانجبت العلماء الأفاضل والشيوخ الكبار الذين علموا وكتبوا ودرسوا وألقوا ممن تزخر بهم كتب تاريخ المغرب وتراجم رجاله، وتذكرهم الأجيال الماضية والحاضرة، وتخلد لهم مؤلفاتهم القيمة، التي كانت وما تزال أهم المصادر والمراجع في البحوث والدراسات الإسلامية^(١).

(١) منهل جامعة القرويين: إصدار مديرية التعليم الأصيل بالمغرب (١٩٧٦ م).

جامعة القرويين حديثاً

حظيت هذه الجامعة ضمن قطاع التعليم في المغرب بعناية أولى الأمر ، لتكتسب مظاهر واضحة التقاليد ، ولتبرز لها خصائصها الجامعية بما يواكب حضارة العصر الحديث جهد الطاقة وقدر الاستطاعة، وقد كان أبرز مظاهر التطوير والتجديد هو التنظيم الذى أدخل على سير الدروس لتلائم في مجموعها مستويات الطلاب عامة، وهكذا نرى السلطان المولى محمد بن عبد الله، الذى أصدر منشوراً عام ٢٩٣ هـ / ١٧٨٩ م ، في صدد هذه الجامعة ، وخصص لتدريس كتب معينة بها وتقرير مواد خاصة للدراسة، ثم تلاه السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام، الذى وجه خطاباً بتاريخ ١٢ محرم ١٢٦١ هـ إلى قاضى القضاة بفاس وفيه يشير عليه بأن يوجه أنظار المدرسين بالقرويين إلى أن يعملوا ما في وسعهم لمصلحة الطلاب ، وتيسير مهمتهم العلمية .

أما السلطان المولى يوسف فقد طلب من العلماء في رمضان ١٣٣٠ هـ (سبتمبر ١٩١٢ م) عقب توليه السلطة أن يعدوا له تقريراً حول إضافة بعض المواد في الدراسة، كما أمر بتأسيس " مجلس علمى " توكل إليه أمور الجامعة ، ويضم طائفة من علماء القرويين المتمرسين بالشئون العلمية والإدارية.

وفي ٢٠ جمادى الأولى ١٣٣٣ هـ (١٩١٥/٤/٥ م) وبعد سنة من تأسيس المجلس العلمى وردت رسالة مخزنية تحمل الأمر بجعل الانخراط في صفوف العلماء متوقفاً على النجاح في الامتحانات واجتياز مباراة .

وفي ١٦ ربيع الثانى ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧/١٠/١٣ م) صدر ظهير يفيد أن رواتب العلماء قد زيد فيها، وأنه قد تأسس بالرباط مجلس أعلى برئاسة السلطان المولى يوسف، وعضوية الصدر الأعظم، ووزير العدلية والأوقاف

والحاجب، وتقضى بتعيين أمين ورقيب ، وكان يعد المجلس بمثابة هيئة عليا ترأب المجلس العلمى بفاس^(١).

وهكذا ٠٠٠ واصلت جامعة القروين رسالتها فى حدود الإمكانيات التى أتاحها لها الظروف المعاصرة، وخاصة فى مرحلة الاستعمار الأجنبى ، إلى أن قبض الله هذه البلاد أن تنال استقلالها عام ١٩٥٦ م بقيادة الملك محمد الخامس ، والذى رأى أن يعيد النظر فى نشون الدراسة بجامعة القروين. بحيث تستقطب أكبر عدد من طلاب العلم من الداخل والخارج ، ولتسير الجامعة وفق مقتضيات العصر الحاضر ، على أسس منهجية فى دراستها، وحتى تنتهى تلك الدراسات بمؤهلات علمية تتعادل مع مؤهلات الجامعات المناظرة، ليتمكن لخريجها أن يشقوا طريقهم إلى الوظائف المناسبة فى الدولة .

مراحل التطوير للجامعة قبل الاستقلال

وفى هذا الصدد صدرت عدة ظهائر وقرارات تتعلق بإدخال التنظيم الجديد على جامعة القروين .

١ - ففى ٢٦ ذى الحجة ١٣٤٨ هـ (٢٥ مايو ١٩٣٠ م) صدر ظهير شريف يعين المدرسين، ويرتبهم ثلاث مراتب وينفذ لهم رواتبهم .

٢ - وفى ١٠ ذى القعدة ١٣٤٦ هـ (٢٦ مارس ١٩٣١ م) صدر ظهير شريف ، يسند تعيين القنون والعلوم المدرسة والتأليف التى تدرس بما للمجلس الأعلى، إلى جانب من ضابط بتنظيم التعليم ، وتحسين طرقه بالقروين .

(١) منهل جامعة القروين - إصدار مديرية التعليم الأصيل بالمغرب ١٩٧٦ م .

٣ - وفي ١٠ ذى الحجة ١٣٤٢ هـ (١٤ مايو ١٩٣١ م) فتحت إدارة المجلس العلمي أبوابها في وجه الطلاب الذين يريدون الانخراط في النظام، ودرست الدروس النظامية في ٨ شوال ١٣٥٠ هـ (١٦ فبراير ١٩٣١ م) .

٤ - وفي ١٠ ذى الحجة ١٣٥١ هـ (٣١ مارس ١٩٣٣ م) صدر الضابط

المسنون في أحد عشر فصلاً ، يتضمن تقسيم الدراسة إلى ثلاث مراحل :

أ - ابتدائية ، ومدتها ثلاث سنوات .

ب - ثانوية ، ومدتها ست سنوات .

ج - عالية ، ومدتها ثلاث سنوات ، وتحتوي على شعبتين شرعية ،

وأدبية ، وتنتهي بتحويل المتخرج شهادة " العالمية " وهي أعلا

شهادة كانت تمنحها جامعة القرويين .

" كما نص هذا الظهير على تحديد المواد المدروسة، وتعيين الكتب المقررة،

وعلى الزيادة في عدد العلماء المدرسين. ورفع رواتبهم، وتحديد مهمة المراتب ،

والحفل الأسبوعية والفصلية ، ونظام الامتحانات، والوظائف التي تخولها مختلف

الشهادات، إلى غير ذلك من التنظيمات التي كانت من أعظم مكاسب جامعة

القرويين في عهد محمد الخامس، وأساساً للمكاسب والإصلاحات التي تمتعت بها

هذه الجامعة بعد الاستقلال^(١) .

وما أن أشرق فجر الحرية على البلاد، حتى حظيت القرويين بعناية خاصة

من ساكن الجنان الملك محمد الخامس، حيث كان وعد بمزيد من الرعاية والاهتمام

بها، تقديراً منه لهذه الجامعة العتيقة، والتي حفظت للبلاد دينها الإسلامي ولغتها

العربية فيما انصرم من العصور، وهكذا تفضل بزيارة خاصة لمسجد القرويين ،

(١) منهل جامعة القرويين - إصدار مديرية التعليم الأصلي بالمغرب ١٩٧٦ م .

وخطب في طلابها وعلمائها مشيداً بدور الجامعة الحضارية، ومؤكداً العزم على مواصلة إصلاحها ورعايتها، وذلك بما يكفل لها أداء رسالتها على أحسن وجه، وقد استهل هذا النظر الكريم بتأسيس لجنة عليا للسهر على إصلاح التعليم بصفة عامة، وجامعة القرويين بصفة خاصة، كما خصصت لها غدارة لرعاية شئونها بوزارة التربية الوطنية، بحيث تشمل معاهدها الابتدائية والثانوية إلى جانب كليتها، وخصصت لكل هذا الأبنية المناسبة، وبذلك انتقلت الدراسة من المسجد والجوامع التابعة إلى مدارس حديثة مجهزة علمياً، مما كان له أكبر الأثر في النهوض بالتعليم الديني في المغرب الحديث .

وهذا وتدخّل في نطاق القرويين للتعليم العالي كليات ثلاث على النحو

التالي :

١ - كلية الشريعة . ومقرها مدينة فاس .

٢ - كلية أصول الدين . ومقرها مدينة تطوان .

٣ - كلية اللغة العربية . ومقرها مدينة مراكش .

وقد نالت جامعة القرويين العناية اللاحقة بها في وقتنا الحاضر من لدن جلالة الحسن الثاني، حيث كانت في حاجة إلى المزيد من الرعاية والاهتمام. وذلك حفاظاً على الثقافة الإسلامية، ونشراً لها في طول البلاد وعرضها .

وفي الخطب السامية لجلالته، والظواهر الملكية . والمراسيم الوزارية التي تستهدف - النهوض بجامعة القرويين ومعاهدها . وتزويدها بالإمكانات الضرورية، وإعادة النظر في برامجها ومناهجها، وتحديد الدراسات التي تختص بها كل كلية من كليات هذه الجامعة . مما يجدد شبابها، ويعطيها نفساً جديداً يساعد على تخريج العلماء المتضلعين في علوم اللغة العربية، والفكر والحضارة والشريعة

الإسلامية، وعلى بعث حركة ثقافية وهضبة علمية شاملة ، تنعكس أثارها على التكوين المتين والثقيف، لتؤدى الجامعة رسالتها التاريخية داخل المغرب وخارجه .

التنظيم الحديث لجامعة القرويين

وفي هذا الصدد كان جلالته قد أصدر ظهيراً شريفاً بتاريخ ١٢ رمضان ١٣٨٢ هـ (٦ فبراير ١٩٦٣م) بإعادة تنظيم جامعة القرويين تنظيمياً جديداً يتلاءم وروح العصر الحديث شكلاً وتربوياً بما يحقق النهوض بهذه الجامعة. ويكتمل معه إطارها العام بمختلف الكليات ، ويستجيب لتحقيق الغاية المنشودة منها ، بتكوين علماء متخصصين في فروع العلم والمعرفة، يشغلون وظائف عامة في الدولة، يقومون بخلق نشاط فكري وثقافي وحركة علمية في هذا المضمار .

وقد تضمن الظهير المذكور العناصر التي اقتضاها إصلاح الجامعة، وإعادة تنظيمها من جديد، فحدد اختصاصاتها وأهدافها ، وأعطاه صبغة المؤسسة العمومية المتمتعة بالشخصية المعنوية، كما حدد الكليات التي تشتمل عليها الجامعة، وهيئة التسيير التي يمثلها مجلس الجامعة، ووضعية رجال التعليم بها ، واختصاصات كل كلية، والإجازات الوطنية التي تسلمها.

وقبل أن ننهي الحديث عن جامعة القرويين يطيب لنا أن نقطف فقرات مما سطره بعض الكتاب الأوروبيين ، الذين نوهوا بالدور الثقافي والإنساني لهذه الجامعة :

١ - فقد كتب ديلفان في كتابه " فاس وجامعتها" يقول : مدينة فاس دار العلم بالمغرب ، التي بها جامعة القرويين ، تعد أول مدرسة في الدنيا .

٢ - وكتب المستشرق الروسي " جوزى كريستوفيتش " مقالاً ، ترجمته مجلة الهلال المصرية (أبريل ١٩٥٦ م) قال : فإن أقدم كلية في العالم ليست في أوروبا - كما يظن - بل في إفريقيا في مدينة فاس ، فقد تحقق بالشواهد التاريخية أن هذه المدرسة كانت تسمى " جامعة القيروان " - ويقصد القرويين - والتي لست في الجيل التاسع للميلاد ، وعليه ليست فقط أقدم كليات العالم ، بل هي الكلية الوحيدة التي كان يتلقى فيها الطلبة العلوم السامية في تلك الأزمنة، حين لم يكن فكان باريس وأكسفورد وبولونيا يعرفون من الكليات سوى الإسم، فكان الطلبة يتواردون على كلية (القرويين) من أنحاء أوروبا وبريطانيا فضلاً عن بلاد العرب الواسعة للأخراط في سلك طلابها وتلقى العلوم باللغة العربية مع الطلبة الطرابلسيين والتونسين وغيرهم، ومن جملة من تلقى علومه - في هذه المدرسة من الأوروبيين - جيربرت أو البابا سيلفستر، وهو أول من أدخل إلى أوروبا الأعداد العربية، وطريقة الأعداد المألوفة عندنا بعد أن أتقنها جيداً "

٣ - وذكر الكاتب البريطاني روم لاند أنه : شيد في فاس في أيامها الأولى جامع القرويين ، الذي هو أهم جامعة وأقدمها ، وهنا كان العلماء منذ ألف سنة يعكفون على المناظرات الفلسفية والأبحاث الدينية، وكان المثقفون يدرسون التاريخ والعلوم والطب والرياضيات ، ويشرحون أرسطو وغيره من مفكرى الإغريق، وقد تطورت على نحو ما حدث في جامعة السوربون التي كانت أول أمرها تعطي بعض الدروس في اللاهوت، يلقبها أحد الرهبان في حجرة قريبة من نوترادام في باريس، ثم اقام أحد المحسنين متراً

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله ، الحمد لله الذى جعل الحمد فاتحة الكتاب ، وأول كلام الخلق يوم الحساب ، وصلّى الله على سيدنا محمد المنتخب من لباب الألباب والرضى عن آله وصحبه فأكرم بهم من أهل وأصحاب وبعد :
يحتوى هذا الكتاب على ما بين :

الباب الأول : فى ذكر من أسسها من الأدارسة الحسينيين .

الباب الثانى : فى ذكر من أدارها بالأسوار وذكر جوامعها وما إنتهت إليه من الدور والحمامات وما جاء من الثناء عليها وعلى ساكنها من العلماء المرضيين .

